

الأغنية الرايوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسولوجية لبعض المقاطع والكلمات.

Rai song, from local to worldwide, a sociological study of some verses and words

بن شعبي محمد¹

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس (الجزائر)، benchaibi_15@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: اليوم/الشهر/السنة تاريخ القبول: اليوم/الشهر/السنة تاريخ النشر: 15-02-2022

ملخص: إنّ التراث الجزائري غنيّ جدّا و متنوّع بين المادّي واللامادّي، و هذا يدلّ على تنوّع الثقافات واللّهجات داخل هذا المجتمع، ومن خلال كلّ هذا التنوّع التراثي اخترنا نوعا واحدا والذي ينتمي إلى التراث اللامادي والمتعلّق بالأغنية الرايوية التي تعكس الواقع المعاش للشباب الجزائري خاصّة، إذ صُنّف هذا الملف مؤخرا من طرف منظّمة اليونسكو - مارس 2021- على أساس أنّه تراث لا مادي عالمي. وكان هذا بعد بحث وتحقيق في أصول وتاريخ هذا الطّابع الغنائي. إنّ المسألة التي بدت لنا هامة في هذا المقال المتواضع هو ليس الأغنية فحسب بل الرسائل التي تحملها و ثراء قاموسها بقوة الكلمة، نشير في ختام هذا الملخص إلى قلة الدراسات المتعلّقة بهذا الموضوع، مع العلم أنّه يشكّل مجالا خصبا للبحث فيه في بعض التخصصات دون سواها.

الكلمات المفتاحية: التراث الجزائري؛ التراث اللامادي؛ الأغنية الرايوية؛ الشباب الجزائري؛ قوة الكلمة.

Abstract :

The Algerian heritage both tangible and intangible is very rich and diverse, exhibiting various cultures and dialects within the society, and from this diverse heritage, one type of intangible heritage, which is Rai song, is picked being a reflection of Algerian youth's lifestyle, considering this latter UNESCO classified as global intangible heritage in 2021. After a deep research in the origins and history of this musical style. The most important issue in this article is not solely the song itself but also carried messages through a rich vocabulary and word power, the résumé mentions at the end of it the scarceness of research regarding this subject, in spite of being a fertile field of research in certain domains amongst many.

Keywords: Algerian heritage; intangible heritage; Rai song; Algerian youth; word power.

1- مقدمة:

تمتلك الجزائر موروثا ماديا وآخرا لا ماديا غنيا وجد متنوعا، فاقت به بعض بلدان المغرب العربي على اختلاف لهجاتها وثقافتها، إذ سنهت في عملنا هذا باللون الثاني من التراث والموسم بالتراث اللامادي أو المعنوي والذي سنأخذ منه نوعا واحدا وهو الخاص بالأغنية الرايوية، التي عُرفت منذ سنين باسم الأغنية الشبايية نسبة إلى الفئة التي كانت تؤديها من كلا الجنسين على شكل أغنيات أحبها الشباب وحتى الكبار. حيث داع صيتها في أواسط الثمانينات وبعدها لقيت رواجا كبيرا في فترة التسعينات من القرن الماضي بظهور مجموعة من الأصوات الشبايية التي اهتمت بهذا النوع وشيئا فشيئا انتقلت من الطابع المحلي إلى العالمي لتزور بعض بلدان العالم الأوروبي والأمريكية وبلدان المشرق العربي كذلك، منافسة أشهر الطبوع الغنائية العالمية كالترك والجاز وحتى البلوز. وصولا وبالضبط إلى شهر مارس من السنة الجارية (2021)، حيث صُنّف هذا الملف كتراث لامادي عالمي من طرف منظّمة اليونيسكو.

ما يهّمنا في هذا اللون الغنائي هو تلك الرسائل أو المضامين التي تحملها تلك الأغنيات. محاولين قدر المستطاع تقديم قراءة سوسيولوجية لها، كونها تعكس واقع وثقافة المجتمع الجزائري عامة والشباب خاصة، فيما ترى ماهي المواضيع التي تعالجها الأغنية الرايوية، وهل فعلا تحمل رسالة ما؟ هذا ما سنكشف عنه من خلال هذا البحث المتواضع والذي بدا لنا سهل التناول في الوهلة الأولى، لكن ربما ستبقى محاولة جادة يمكن أن نوفق فيها.

2. مفاهيم للفهم.

ارتأينا في هذا المستهل إلى تحديد بعض المفاهيم التي سيتضمنها عملنا هذا، إذ يتعلق الأمر بمفهوم التراث ومفهوم الفن وكذلك مفهوم أغنية الراي وسنتناول كل واحدة على حدة

1.2 مفهوم التراث:

تنوّعت تعريف هذا المفهوم من تخصّص لآخر فمثلا نجد تعريف من منظور علم التاريخ، علم الآثار، علم الاجتماع، علم الاقتصاد، علوم الأرض والحياة وكذلك تخصّص القانون... وعليه حاولنا التقرب قدر المستطاع من تخصّصنا بهذا التعريف للباحثة فرانسواز شوآي في كتابها الموسوم رمزية التراث على أنه "الملك، التركة المشتركة لجماعة ما، لمجموعة بشرية، إنها تدلّ على رصيد موجه لإشباع رغبات جماعة يمكن توسيع مجال انتشاره على مستويات علمية، والمبني على تراكم مستمر لمجموعة متنوّعة من الأشياء التي تجمعها هذه الجماعة والمتعلقة بالماضي من أعمال وروائع فنية للفنون الجميلة والفنون التشكيلية، أعمال وإنتاجات متعلّقة بكلّ المعارف والخبرات العلمية للبشر". (Choay, 1992, p. 09)

الأغنية الرايوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسيولوجية لبعض المقاطع والكلمات

2.2 مفهوم الفن:

" فنّ، الفنّ: عمل يراد منه التسلية وترقية الأفكار و المشاعر وصاحبه فنّان و، الفنّ الصناعة... الفنّي: الخبير الماهر في صناعته..." (حجاوي، 2014، صفحة 283)، كذلك نضيف من جانبنا ونقول إنّ العمل إذا تمّ إتقانه تحوّل إلى فن. و الفنّ من المنظور السوسيولوجي عبارة عن ظاهرة اجتماعيّة وثقافيّة بامتياز كونه يعكس ويعبّر عن الواقع الاجتماعي لمختلف الفئات عامّة وفئة الشباب خاصّة .

3.2 مفهوم الأغنية الرايوية:

هي طابع موسيقي غنائي شبابي بامتياز، ظهر في بعض مدن الغرب الجزائري في نهاية السبعينات من القرن الماضي حسب بعض ما كُتب حول الموضوع، ظهور ولكن ليس بصورة مكتملة، ثمّ اشتهر قليلا بداية الثمانينات وبآلات عصريّة من خلال بعض الأصوات الّتي كان يطلق عليها تسمية *الشّاب* منهم من حافظ على اسمه الحقيقي، ومنهم من غيّره باسم آخر يُعرف بالاسم الفنّي، "في سنة 1985 أقيم المهرجان الأوّل لأغنية الرّاي بوهران .. و في سنة 1986 أصبح ينتج هذا التّوع الغنائي بفرنسا" (Daoud & Miliani, 1996, p. 13) لكن ومطلع التسعينات صنعت الأغنية الرايويّة الحدث بحضورها الكبير في أعراس الجزائريين وبعدها دخلت بيوتهم خاصّة مع ظهور الأغنية العاطفيّة أو المهذّبة الّتي أحبها الكبار والصغار على حدّ سواء، هذا بشكل مختصر وسنعود للتّفصيل لهذا المفهوم تارة أخرى في العنصر الموالي.

3. أغنية الرّاي مرحلة الميلاد والتطوّر:

في لحظة وجيزة سنشير إلى هذين المرحلتين الهامتين في تاريخ أغنية الرّاي إذ هناك كلام يطول حول ميلاد هذا الطّابع الموسيقي إلّا أنه يصعب تحديد الفترة الحقيقيّة أو الجهة الّتي نبع منها أوّل مرّة، و فوق هذا شكّل نقطة اختلاف على المستوى المحلّي (بين مدن الغرب الجزائري). إلى جانب اختلاف آخر حول هويّة أغنية الرّاي وهذه المرّة على المستوى الدّولي مع بلد المغرب الشّقيق. وبعد اختلاف طال أمدّه بين البلدين رُجّحت الكفّة مؤخّرا لصالح الجزائر كونها الموطن الأم لها، لكن نقطة الالتقاء بينهما هو أنّ الأغنية البدويّة هي أصل طابع الرّاي الحالي بالمغرب أو بالجزائر، ما يُعرف بالمغرب الشّقيق بأغاني الغيوان، و هو طابع كان يؤدّي في الفضاءات العموميّة كالأسواق بحضور البرّاح وفي مواسم الأفراح خاصّة. تقريبا نفس الشيء في الجزائر تلك الأغاني البدوية كانت تحمل نصوص أو قصائد ساهمت كثيرا في تشكيل الذاكرة الشعبيّة. والأمر الذي زادها جمالا هو طريقة الإلقاء ما يعرف بالشعر الملحون الّذي لا تزال كلماته تؤدّي في بعض الأغاني العصريّة، مايدلّ على وجود امتداد بين الماضي والحاضر، في البداية كما أشرنا كانت الانطلاقة مع الأغنية البدوية وأشهر القصائد وسنشير باختصار إلى أربعة خزانات أو أعمدة من أعمدة الأغنية البدوية والّذين كانوا يعرفون باسم "الشيخ" .

1.3 خزانة الشيخ مصطفى بن ابراهيم:

هو الشيخ مصطفى بن ابراهيم ،"وُلد حوالي 1800 ببوجبهة ،قرية صغيرة موجودة على بُعد ثلاثين كلم بشمال الزيفز بمدينة سيدي بلعباس ..تلقى تعليمه في أسرة مُحترمة وهادئة، عُيّن كقاض في بلدته الأصلية، عُيّن كذلك كخليفة من طرف الإدارة الفرنسية وقايد في القرى المجاورة بأولاد سليمان وأولاد بلاغ حوالي سنة 1835 أصبح شاعر القطاع الوهراني وقائد الشعراء ،أنتج الشيخ مصطفى بن ابراهيم عملا كفيًا وكميًا الذي ينتمي الى خانة مغنبي الشعر الملحون.أمثال كلّ من الشيخ حمادة ،الخالدي،بوراس ،أحمد وهي،بلاوي الهواري، خليفني أحمد ،معزوز بوعجاج ،عبد الكريم دالي ..."

(Bendameche, 2008, p. 49)

نالت أشعاره أو أعماله الفنيّة رضا كبيرا على المستوى الوطني لرقّة وجمال كلماتها . كما تمّ آداؤها من طرف المطربين القدامى والمعاصرين على حدّ سواء وسنشير هنا في هذا المقتضب إلى أهم عناوين أعماله التي لاقت رواجا كبيرا في عصره وحتى بعد وفاته ومنها:

"-القمرى.

-مطول دالّيل كي طوال .

-في وهران ساكنة غزالي.

-يمينة.

-خضرا يا ناري.

-دخلت للمدينة .

-قلبي تفكّر لوطن .

-يا ولفي مُحال."(Bendameche, 2008, p. 51)

2.3 خزانة الشيخ حاج حمادة:

" اسمه الحقيقي قوعيش مُحمد ،الشيخ حاج حمادة ،المولود سنة 1889 في بلاد الطواهرية ،على بعد عشرون كيلومتر ،جنوب شرق مستغانم ،عاش لفترة طويلة من شبابه بالرقم 108 من الشارع 21 بتيجديت،حي شعبي عريق بمستغانم..بدأ مسيرته الفنيّة سنة 1926..أول تسجيل له حمل عنوان : يا عودي لله بي سير، وهو كذلك صاحب رائعة :يا بويا كي راني ..و كذلك رائعة أيا نُغْدُو ..توفي يوم 9 أفريل 1968 بعد أيام فقط من عودته من الحج بالبقيع المقدسة عن عمر يناهز 79 سنة"(Bendameche, 2003, p. 301.302)

الأغنية الزاوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسولوجية لبعض المقاطع والكلمات

3.3 خزانة الشيخ عبد القادر الخالدي :

"ولد في 20 أفريل 1896 بسيدي موسى ،بلدية فروحة ،بالقرب من معسكر ،دُفن الشيخ عبد القادر الخالدي يوم الخميس 16 جانفي 1964 ،أول يوم من شهر رمضان المعظم ،أبوه محمد الصغير كان فلاحاً ثم حرقياً على مستواه،ضمن له تعليماً منتظماً ،أولا التعليم القرآني ثم العمومي ،إلى غاية حصوله على الشهادة مهتم كثيراً بالشعر الملحون والاحتكاك بالشيخ كان يحاول بنفسه كتابة بعض النصوص يحاكي فيها معلميه، الشيخ الطاهر بن مولاي ،الشيخ بن شريف العباسي ،و الشيخ مقدم مزيان الذي يُكنّى له احتراماً كبيراً واعجاب كبير أيضاً ..باندلاع حرب التحرير الوطنية ،الشاعر والفنان ،اتخذ موقفاً واضحاً تجاه الكولونيالية ،نظم أشعاراً تصف خاصة الأوجاع الاجتماعية: شرع الله عليك يا كأس خلينا .في نهاية حياته ،خصّص بعض نصوصه النضالية كذلك له عمل حول شخصية الأمير عبد القادر"(Bendamache,2003,p.311.313)

وهو صاحب رائعة جار علي الهمة وكذلك رائعة بختة التي أحبّها كلّ الجزائريين كباراً وصغاراً.

4.3 خزانة الشيخ الجيلالي عين تادلس:

"اسمهُ الحقيقي قيوس الجيلالي ،شيخ الجيلالي عين تادلس.وُلد يوم 9 سبتمبر 1930،بواد الخير،على بعد 20 كيلومتر من مستغانم. يُعتبر من أحد كبار مغنيي الفن البدوي الوهراني، كان بالمرة مغنيّ ،شيخ صاحب موهبة..مدافع عن التراث الغنائي الوطني ،مُتمثل سنمائي جدّ نموذجي(شارك في التمثيل في فيلم القلعة للمخرج محمد شويخ) ،بالإضافة إلى كونه رياضي كبير... مارس العديد من المهن إلى غاية 1956 حين قرّر بصفة نهائية اعتناق الفن وهو من المولعين بالشيخ حمادة"(Bendamache,2003,p.320.321).

توفي الشيخ الجيلالي عين تادلس في 25 ديسمبر 1995 وهو كذلك صاحب أغنية رائعة عنوانها يا حبيبي رافقي. بعد زمن الأغنية البدوية جاءت مرحلة أخرى كان لها تأثير على مسار أغنية الراي وهذه المرة بأصوات نسوية ظهروا على الساحة الفنية بطابع اسمه "القصة" نسبة إلى الآلة المستعملة أو البارزة فيه ، آلة الناي وهي آلة نفخية لها مكانة وميزة خاصة داخل هذا اللون الموسيقي وهنا نشير إلى كلّ من عزابة الراي الشبيخة الريميتي (1923-2006) ،اسمها الحقيقي سعاد باضيف والشيخة الجنية (1954-2004) واسمها فاطنة مباركي، لتميل بهذا الكفة في تلك الفترة إلى الجنس النسوي الذي اقتحم عالم الفن بقوة ومواضيع وُصفت بالجريئة حيث نلن شهرة كبيرة على المستوى الوطني وكذلك ببعض بلدان المهجر بالخصوص فرنسا.دوماً مع النوع النسوي لا ننسى كذلك إسهام المداحات في ترويج أغنية الراي خاصة في مواعيد الزفاف والختان والأفراح عامة.

تقريباً وفي نفس الفترة وإلى جانب ذلك الطابع المشار إليه في هذا النص-طابع الشيوخ-، وُجد طابع آخر لا طالما أحبّه الجمهور الجزائري الذواق عامة والعائلات الوهرانية على وجه الخصوص، هو نوع غنائي هادف وهادئ

محمد بن شعبي

والذي عُرف باسم الأغنية الوهرانية، التي عاجلت عدة مواضيع اجتماعية تراثية وأخرى عصرية، تغنى بهذا اللون الموسيقي بعض الفنانين خاصة من الغرب الجزائري، لكن أشهرهم الفنانين الراحلين الأستاذ أحمد وهي 1921-1993 و الفنان بلاوي الهواري 1926-2017 اللذان أبدعا في تقديم أغاني جميلة جمال ذلك الزمن، و في سياق مُتّصل فإنّ الفن الوهراني هو أيضا امتدادا للفنّ البدوي الأصيل، فمثلا كلا من الراحل وهي وبلاوي، غنوا نصوص مشاهير الشعر البدوي أو الملحن أمثال نصوص صائم الحاج، ومن ضمن أشهر ما غنى أحمد وهي أغنية سرج يا فارس اللّطام وأجمل ما غنى بلاوي الهواري أغنية يا الوشام .

كان هذا سردا لأهمّ المحطّات التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في تكوين مسار فيّ كان حكرا على المستوى المحلي في بداية المشوار ثم شيئا فشيئا صار معروفا خارج الوطن، ولو أنّ في بعض الأحيان كلمات تلك الأغاني لا يعرف معناها هؤلاء المتلقين خاصة الجنس الأوروبي والأمريكي . لكن يعجبهم الإيقاع والموسيقى وليس النص . وعلى ذكر اللّغة التي يستعملها مطربي الراي أو بالأحرى اللّهجة فهذه مسألة جوهرية مكوّنة لنصّ الأغنية فهناك أغاني تحتوي على كلمات وألفاظ تتنافى وأعراف وتقاليد وكذا ديانة المجتمع الجزائري وكأنّ بهذه الأغاني تكسر كلّ الطابوهات الاجتماعية بحثّها على وصف جسد المرأة وشرب الخمر والمواعيد الغرامية .. من أجل هذا قوبلت أغاني الراي بالرّفص في بداياتها الأولى بسبب قوة كلماتها وجرائها. دوما وبخصوص اللّغة المستعملة في اداء أغنية الراي فهي متنوّعة، فأحيانا نستمع الى جملة أو جمل بلغة أجنبية وان لم تكن كذلك فيكتفي المعنّي بتريد كلمة أو كلمتين في كلّ جزء على شكل جوقة أحيانا تكون تلك الكلمة هي عنوان الألبوم بكامله.

4. شخصيات وحصص تلفزيونية عرفت بأغنية الراي:

من بين أشهر الشخصيات التي ساهمت بقدر كبير في تقديم أغاني الراي للمستمع الجزائري شخصية الراحل رشيد بابا أحمد (1946-1995) ابن مدينة تلمسان كونه درس فيها ومارس كذلك حرفته الموروثة عن الوالد كصانع للذهب والتي أبدع فيها، لكن لم يستمر فيها ليختار إبداع من نوع آخر وهو الإبداع الموسيقي رافعا التحدي بوسائل جدّ بسيطة وهذا دليل على حبّه لهذا المجال . أغتيل في سنوات العشرية الدموية كما أغتيل من قبله رجل خشبة المسرح عبد القادر علولة (1939-1994). وفي نفس السّنة تمّ اغتيال الفنان شقرون حسني (1968-1994) بمدينة وهران كذلك، في تلك العشرية فقد البلد الكثير من أبناءه من مثقفين وفنانين وأساتذة ورجال الأمن والقادة السياسيين وكلّ من كان يرتدي قبعة ولو كان ساعي يريد.

نعود للراحل رشيد بابا أحمد ومساره الفنيّ حيث " نجح مع فرقته في الحصول على المرتبة الثانية في مسابقة لمهرجان نُظّم سنة 1968-1969.. بالنّسبة لرشيد فالموسيقى هي موهبة ومن ورائها هدف يجب بلوغه، عكس اخوته

الأغنية الرايوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسيولوجية لبعض المقاطع والكلمات

وأبناء عمّه (فرقة موسيقية) هي مجرد تسلية.. ساهم في انجاح الكثير من المغنيين من خلال عمل التسجيل والذين صاروا مشاهير فيما بعد أمثال كل من الشاب حميد، خالد، الصّحراوي وفضيلة، حسني، عبد القادر شاعو، أحمد زهير، نصر، جلال، فرقة نجوم الصّف وفرقة راينا راي دون أن ننسى الشّاب أنور الذي بدأ مشواره الفنيّ معه وعمره لا يتجاوز العاشرة، كما ساهم رشيد في انتاج بعض الأفلام-انتاج سمعي بصري-ليصبح بذلك الشريك الأوّل للراديو والتلفزيون الجزائري" (Boumediene, 2021, p. 19)

وعلى ذكر هذه المؤسسة لا ننسى مساهمة حصّة ألحان وشباب التي اهتمّت بالجال الغنائي وهذا منذ الثمانينات والتي تخرّج منها بعض النجوم الذين وصلوا الى العالمية أمثال الفنّان محمد خليفاتي (المعروف باسم الشاب مامي).
نبقى مع نفس الشخصية الفنّان والمنتج، و مع نفس الموضوع وهذه المرّة مع الحصّة التلفزيونيّة، حصّة واش راكّم من انتاج رشيد وفتحي، وفي نفس الفترة تابع المشاهد الجزائري حصّة أخرى أكثر تألقاً ومرحاً محتواها الأغنية الجزائرية بكلّ طوعها لتصنع الأغنية الرايوية فارق التميّز وتدخل لأوّل مرّة بيوت الجزائريين عن طريق ما يُسمّى بالفيديو كليب. عنوان تلك الحصّة: بلاد ميوزيك تقدّم الفنّان الراحل فريد كسايسية المعروف باسم فريد الروكير وزميله كمال ديناميت وما عزّز أيضا وصول أو دخول الراي للعائلات الجزائرية هو ذلك الطّابع الموسوم بالطّابع العاطفي الذي أحبّه الشباب ذكورا واناثا وكذا الكبار من كلا الجنسين أيضا. أغاني عاجلت هموم الأفراد وهواجسهم بكلمات نظيفة ومُهدّبة لا تزال سارية المفعول بالرّغم من وفاة عميدها المطرب الراحل حسني شقرون، هذا ملف آخر يحتاج إلى عمل مستقل بذاته.

5. مواضيع سوسيولوجية عولجت بقالب غنائي راوي:

بالنسبة للمواضيع التي عاجلتها وتعالجها أغنية الراي فهي متنوّعة. يُمكن القول أنّها صورة مطابقة للواقع المعاش لمختلف قضاياها وسنحاول ترتيبها من الأكثر تداولاً الى أقلّها على شكل محاور.

1.5 محور العشق والمحبة:

تقريبا ومنذ بداية هذا الطّابع الغنائي فكلّ أغنية منه إلّا وتضمّ مدحا أو غزلاً موجّها بشكل صريح للمرأة. طوّرا حليلة وطوّرا آخر حليلة المهم تبقى المرأة هي القاسم المشترك، منهم من تغنّى بالبيضاء ومنهم من تغنّى بالشّقراء ومنهم أيضا من تغنّى بالسّمراء كما يُقال كلّ يغني على ليله. وعليه هذا التنوّع وجد ملاذا كبيرا على مستوى المتلقي. فتارة يفرح لسماع نصّ الأغنية، وتارة يحزن ويكتتب حين سماعها خاصّة اذا عاجلت تلك الأغنية موضوع الانفصال أو الفراق بعد عشرة طالت أو قصّرت. وفي المقابل نجد الأصوات النسوية تغنّت وتغرّلت بالرجل وخصاله وصفاته، ما تجلّى في بعض الأغاني الرايوية النسوية في فترة التسعينات من العقد الماضي، و فوق هذا نجد أنّه خلق جوّا تنافسيا بين هؤلاء المغنيين من كلا الجنسين. نعود فنقول أنّه لا يخلو أيّ ألبوم راوي من موضوع

محمد بن شعبي

العشق والغزل والغرام .ومن بين الكلمات التي يتم ترديدها من أغنية الى اخرى كلمة:نبغيك ،نموت عليك ،أنت عمري ...بكلّ اللهجات واللغات التي نعرفها والتي لا نعرفها.

2.5 محور الأوضاع الاجتماعية:

عاش المجتمع العديد من التقلّبات السوسيو-اقتصادية ما شكّل ضغطا وانخفاقا وكذا أزمة مُتعدّدة الأوجه على أفراد المجتمع والشّباب بالخصوص. شيئا فشيئا زادت الأوضاع تعقيدا نوعا ما،وبعد أحداث أكتوبر ،جاءت مرحلة العشرية الدموية والتي يمكن تصنيفها على أنّها حرب أهلية بربريّة بكلّ ما تحمّله هذه الكلمة من معاني والتي راح ضحيّتها مختلف الفئات الاجتماعية والفنّان كما سبق وذكرنا آنفا لم يكن مُستثنى من هذا الفعل اللاإنساني ،ومن بقي على قيد الحياة فرّ إلى بلد آخر خوفا من الموت لكن استمرّت مسيرته الفنيّة وهو خارج موطنه الأصلي.هناك العديد من الأغاني التي عاجلت هذا المحور والتي سنقتبس منها هذه الكلمات والتي تعود لصاحبها الفنّان موفق بلال:

"غي حيّين، ماناش عايشين كي الناس غي حيّين.

واحد فينا ما هو لا باس ،غي حيّين.

بنادم ما هناش فالرّاس ،لا همة لا عيشة لا كلاص.

غير الحيلة والوسواس وخلاص."

المستمع لهذه الأغنية(فيديو كليب) يفهم جيّدا قدر وحجم المعاناة الاجتماعية هذه من خلال معرفة الفرق بين الحياة والعيش..فشتّان بينهما.

3.5 محور خيانة الصداقة بين الأصدقاء:

من الظواهر الاجتماعية الموجودة أيضا في المجتمع الجزائري ،ظاهرة عدم الوفاء بالصداقة أو نكران الجميل بين الأصدقاء ،و ظاهرة الصداقة والوفاء لها دلالة على قوّة ومثانة الرّابطة الاجتماعية لكن من حين إلى آخر ينتابها الضعف والتلاشي وأحيانا أخرى تنتهي مرّة واحدة وقد يكون سببها خيانة طرف لآخر من أجل عرض من عرض الدّنيا .ونظرا لأهميّة هذا الموضوع دفع ببعض المغنيين التّعبير عنه، انطلاقا من أغاني تشخّص الظاهرة اذ اخترنا لهذا المحور مقاطع من الأغاني التالية:

"ياالقلب تستاهل نزيدك قاع اللي فات عليك ومازال زايدني

حوّست بلدان وعرفت عيطة ناس معرفة الرجال قلالة محال تنصاب

و شحال صحاب دايرهم قاع حباب كيف البالي كيف الجديد قاع رماوني فالنّار"

الأغنية الرايوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسولوجية لبعض المقاطع والكلمات

هذه الأغنية للراحل ياسين العباسي.

لدينا مقطوعة أخرى وهذه المرة مع فنان آخر من الغرب الجزائري واسمه غانا المغناوي الذي عمل برفقته في هذه الأغنية عمود آخر من الأعمدة المساهمة في نجاح الراي وهو الفنان بلّمو العازف الشهير على آلة البوق. وهذه مقتطفات من أغنيته :

"ما تأمن فالصاحب لا تقول خويا لا تعاشر بالنيّة وتحكي سرّك

يالي صاحبي ولاّلي عدويا عمّد على موتّي وحفري قبر"

كذلك وفي نفس السياق نجد أغنية أخرى معبرة عن ما سبق ذكره وهذه المرة مع الراحل شقرون حسني قائلا فيها الآتي :

"شحال عندي صحاب حتى واحد ما صدقلي

شحال عندي لحاب حتى واحد ما داملي."

هذه نماذج بسيطة ذكرناها لفهم محور الصداقة التي هي كنز عند من يقدرها وكما يقال الصديق وقت الضيق وليس فقط في أوقات اليأس والفرح.

4.5 محور الصحة والمرض:

الدنيا معتلّة ومُعاني والصحة من المواضيع الهامة لكلّ الناس، إذ هي حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية وكذا النفسية وليس مجرد غياب أو انعدام للمرض، لكن هذا الموضوع ليس حكرا على المداوي أو الطبيب فقط بل هو أيضا محور اهتمام المغنيين من مختلف الجنسيات وكذا الشعراء، مثل قصيدة : "ونسيت دائي حين جاء دوائي" للشاعر كريم العراقي، كما نال اهتمام موضوع الصحة حيّزا لا بأس به من الألبومات الغنائية الرايوية، و أشهر بعض الأغاني، تلك التي أداها المطرب محمد خليفاتي (مامي) الذي أطلّ على الجمهور الجزائري في شاشة التلفزيون، لأول مرة من خلال حصّة الحان وشباب سنة 1985 بأغنية شهيرة عنوانها : "يا دلمسم عيدي ما كان" أمّا عمله الغنائي حول محور الصحة فغنى ما يلي :

"يا صحّة ويا الصحّة يا عدوة مولاها، يا عدوة مولاها

ويلا غابت الصحّة وين رايح نلقاها، يا الطبيب داويني.

5.5 محور الفراق التاجم عن الموت :

للحياة طقوسها كما للموت طقوسها، فحقّ الموت نال اهتمام بعض الشعراء العرب القدامى والمعاصرين وكذا الشعراء الجزائريين ما يُعرف بالثرثاء، مثل مريّة حيزيّة للشاعر الراحل بن قيطون، ولنا في الأغاني الرايوية العاطفية خير دليل على وفاء الحبيب لحبيبتة حتّى بعد موتها، هذا ما عبّر عنه الفنان نصر الدين سويدي من خلال أغنيتين

محمد بن شعبي

أو بالأحرى رثائين في حقّ خطيبته التي لم يكتبها القدر له: "سميرة"، وهي قصّة واقعية عاشها هذا الفنّان لكن الفراق سبق اللقاء. خطفها الموت منه بعد مرض ألمّ بها وقدم في حقّها رائعتين عاشها الفنّان نصرو في مطلع التسعينات على ما نذكر وكلّما كانت القصة واقعية كلّما كانت الكلمات والأغنية أروع، الرائعة الأولى عنوانها "مقام سميرة" والثانية "الموت الخداعة".

5. الخاتمة:

الرأي كطابع غنائي جزائري، هو أنّ المغني يقول رأيه حول موضوع ما، أو يروي تجربته أو وجهة نظره بطريقة غنائية. وكإجابة عن التساؤل المطروح حول وجود رسالة ما داخل نصّ الأغنية من عدمها، يمكن القول بأنّ أغنية الرأي عبارة عن عملية اتصالية تتوفّر فيها كلّ الشروط من مُرسل ورسالة ومُستقبل وعليه، فمضمونها يحمل رسالة معيّنة. خاصّة تلك التي تحتوي على نصّ مكوّن من كلمات مُنتقاة ولحن مدروس وعليه فهي مُعبّرة عن الواقع الاجتماعي وعن الوجدان، لكن هنا الأمر لا يخصّ الموجة الأخيرة من الفنّانين وأغانيهم التي هدفها تجاري وفقط، لا تهتمّ بالكلمة بل فقط الإيقاع والموسيقى وعدد الفرقة بكاملها لا يتجاوز الثلاثة أشخاص.

أغنية الرأي كتراث لا مادّي حديث التّصنيف، لا تزال تلقى راجا كبيرا خاصّة على مستوى فئة الشّباب، قديما وحديثا يستمعون إليها بصفتهم مُتلقيين قصد التّنفيس إمّا فرحا وإمّا حُزنا، لما لها من وقع على الوجدان مادامت تعتمد على اللّغة، التي هي في الأصل فعل اجتماعي شامل، و الشيء المميّز لهذا اللون الغنائي أنّه يُعزف بكلّ الآلات الموسيقيّة القديمة والعصريّة على حدّ سواء، و يجوز حتّى استعمال كلّ اللغات وكذلك بعض المقامات الموسيقيّة كمقام الكرّد. ختاماً تجدر الإشارة في هذا المقام الى قلة الدراسات والبحوث الخاصّة بهذا الموضوع ما عدا بعض المقالات التي تظلّ هي الأخرى ناقصة ولا تفي بالغرض كليّة من أجل فهم شؤون المجتمع، أحيانا يقول المغني ما لا يقوله الشّاعر المتّمسّ أو الباحث المختصّ.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

باللغة العربية:

حجاوي، عارف، (2014)، اللغة العالية، العربية الصحيحة للمذيع والمراسل ولكلّ صحفي، قطر، شبكة الجزيرة الإعلامية.

الأغنية الرايوية، من المحلية إلى العالمية، قراءة سوسولوجية لبعض المقاطع والكلمات

باللغة الفرنسية:

Bendameche, Abdelkader, (2003), Les grandes Figures de L'art Musical Algérien (Vol.1), Alger, Edition Cristal Print.

Bendameche, Aabdelkader , (2008), Les grandes Figures de L'art Musical Algérien (Vol. 2), Alger, ENAG Edition.

Choay, Françoise, (1992), L'allégorie du patrimoine. Paris, édition de seuil.

Daoud, Bouziane, & Miliani, Hadj, (1996), l'aventure du Rai ,Musique et société . Paris, édition de seuil.

الجرائد:

Boumediene, Khaled, (2021), Féthi Baba Ahmed raconte Rachid : "Pour mon frère, la musique était une passion", Le Quotidien d'Oran , 19.